بالمدفع والرشاش وتقديم التضحيات بشلالات الدم التي لا تنقطع ، ولكن : الى متى يمكن ان يصمد شعبنا امام كل هذه الهجمات التي لا تنتهي ، وامام الضغوط الأقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وامام القهر القومي والعنصري والعرقي الذي تمارسه الحركة الصهيونية ؟ والى متى يمكن ان يحتمل شعبنا الترحيل الجماعي وهدم البيوت الجماعي والعقوبات الجماعية ؟ والى متى يمكن ان يصبر على التجويع والانتهاك والاذلال ؟ والى متى تبقى الثورة الفلسطينية تتصدى للهجمة الصهيونية الشرسة منفردة في الميدان ؟

لا يكفي ان نكبر ونهلل لصمود شعبنا في الداخل ، ولا يكفي ان نقول كلمة خير في عملية جريئة تقوم بها قوات الثورة الفلسطينية ، ولا يكفي ان نتحدث بالاعجاب عن بطولات شعبنا وانتفاضته الرائعة ، ولا يكفي ان نردد القصص والحكايا عن الشبان الذين تصدوا بالحجارة للضباط الاسرائيليين ، ولا يكفي ان نعرض قضية المبعدين على مجلس الامن وان يقوموا بمظاهرة عند الجسر توطئة لعودتهم الى بلادهم ، ثم لا يعودون .

من قال ان بيانا يصدر هنا ونشرة تصدر هناك وتصريحاً يذاع هنا ومقالة تكتب هناك ، تكفي لتدعم صمود شعبنا وتؤدي الى ثباته وتصديه للمحتل المستعمر ؟ من قال ان توجيه التحيات الحارة والشد على الايدي والتمنيات الطيبة والاقرار بالبطولة كافية ليستمر هذا الشعب في رفضه للتسويات والحلول المطروحة ومقاومته لها ؟ من الذي يستطيع ان يدعي معرفته حقيقة ما يجري داخل الارض المحتلة ، ومن يستطيع ان يزعم انه كلّف خاطره ببحث احوال شعبنا ونتائج الهجمات الشرسة عليه ومعاناته والصعوبات التي تواجهه ؟ من الذي يملك احصاءات عن الهجرة الاجبارية التي تتم سنوياً الى الوطن العربي وخارج الوطن العربي ؟ من الذي يقول انه قدم حلولاً عملية للمشاكل اليومية التي يصادفها شعبنا ؛ كل فرد من شعبنا ؟ من الذي يعرف عدد سكان الضفة عام ١٩٦٧ وعدد سكانها الآن ، ولماذا هذا التناقص الخطر وما هي نتائجه ؟ ومن الذي يعرف عدد سكان قطاع غزة عام ١٩٦٧ وعدد سكانه الآن ، ولماذا هذا التناقص الخطر وما هي نتائجه ؟ من الذي يعرف اين يذهب الشباب واين يعملون واين يهاجرون ، وما هي نتائج تفريغ المنطقة من هذا العنصر الفعال في مقارعة الاحتلال ؟ .

هل حصل شـيء من هذا ؟ ربما ! ولكن في حدود اللامبالاة التي هي اصل التفكير ونبع الممارسة ؛ حصل في حدود رفع العتب والتحلل من المسؤولية ، حصل في مجال الادعاء والمفاخرة والمظاهر ، حصل بالاسلوب الذي لا يسمن ولا يغني .. كيف كان ذلك ؟

منذ الاحتلال لم يفكر احد بأهل الاحتلال . لا نقول احتلال عام ١٩٤٨ وانما الاحتلال الثاني الذي وضع في القفص الكبير مليوناً وربعاً آخرين من الشعب الفلسطيني تحت رحمة الصهاينة . واستمرت هذه اللامبالاة عشر سنوات عجاف ، واكتفى الجميع بكلمة لا .. للاحتلال . فاستراحوا واراحوا انفسهم من عناء التفكير وصعوبة البحث ومشاكل المتابعة ، وكأن الأمر لا يعني احداً ولا يخص احداً وليس ضمن مسؤولية أحد . وكأن مصير المليونين من شعبنا لا يهم المئة والثلاثين مليوناً من امتنا ، وليسوا جزءاً من هذه الامة . ولماذا نذهب بعيداً ؟ ألم نسمع ، ولا زلنا نسمع ، ان « عرب الـ ٤٨ » اسرائيليون لحماً ودماً وجنسية ؟ الم يكن امراً مشيناً ان يذكر احد منا احداً منهم ولو بالسوء ؟

عشر سنين .. مرت ، وهؤلاء ليسوا منا ولسنا منهم.. قولاً واحداً وعملاً واحداً وفكراً واحداً.